The Quarterly Journal of Lisān-i mubīn
(*Research in Arabic language and literature***)**
Print ISSN: 2355-8002
Online ISSN: 2676-3516

Self-Another Confrontation in Smaih Al-Qasim's Poetry

Sadegh Fathi Dehkordi [*1], *Seyyedeh Sakineh Hosseini*[2]

[1*] Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Farabi Campus, University of Tehran, Qom, Iran.

[2] Graduated in Arabic Language and Literature, Farabi Campus, University of Tehran, Qom, Iran.

Article Info

Article type:
Research Article

Received:
06/04/2021
Accepted:
19/02/2022

ABSTRACT

The self-another confrontation is the most important topic in Arabic texts in general and Palestinian contexts in particular. This confrontation represents a prominent aspect seen in many works written by Palestinian writers. Smaih Al-Qasim is a poet who fought for his homeland after experiencing difficulties confronting enemies. Through this image, Al-Qasim can illustrate an aspect of his life, whether an intrinsic or social subject. The extant study strived to reveal the image of oneself (or me) and another person in the Smaih Al-Qasim's Poetry and search for different types of "oneself" and how to draw "another person" in his resistance poems using the descriptive-analytical method. This clarifies the Palestinian people's realities, worries, hopes, thoughts, and pains. Manifestation of different types of "oneself" image is the most important result of the extant study, "individual self" means the warrior-poet, and "social self" means all Palestinian people that have experienced injustice, oppression, and hardship. It seems that the poet has expanded the concept of "self" to unite his community. The poet considers "oneself" or "self" in a situation as opposed to "another" and has a hostile attitude and negative view that can be seen in his resistance poems. However, foreign "another" means the UN organization and the Zionist enemy, which are highlighted in his poetry within different images and forms. Non-foreign means Arab leaders, who are not different from the poet in terms of language, culture, and civilization, but have different ideas and beliefs and never defend him.

Keywords: *Palestine Poem, Resistance, Oneself and Another, Smaih Al-Qasim*

Cite this article: Fathi Dehkordi, Sadegh. Hosseini, Seyyedeh Sakineh. *(2022).*Self-Another Confrontation in Smaih Al-Qasim's Poetry, *Vol. 14, New Series, No.49, Autumn 2022*: pages:1-22. DOI: 10.30479/lm.2022.15342.3234

© The Author(s).
Publisher: Imam Khomeini International University

***Corresponding Author**: Sadegh Fathi Dehkordi
Address: Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Farabi Campus, University of Tehran
E-mail: *s.fathi.d@ut.ac.ir*

فصليّة لسان مبين العلمية

(بحوث في اللغة العربية و آدابها)

الترقيم الدولي الموحد للطباعه : ۸۰۰۲-۲۳۵۵

الترقيم الدولي الالكترونيكي: ۳۵۱٦-۲٦۷٦

جدليّة الأنا والآخر في شعر سميح القاسم*

صادق فتحي دهكردي[1]*، سكينة حسيني[2]

[1]* أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، برديس فارابي، قم، إيران.

[2] دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، برديس فارابي، قم، إيران.

معلومات المقالة الملخّص

نوع المادة:
مقالة محكمة

تاريخ الوصول:
١۴٠٠/٠١/١٧

تاريخ القبول:
١٤٠٠/١١/٣٠

تُعدّ جدليّة الأنا والآخر من أهم القضايا التي تناولتها النصوص العربيّة عامّة والفلسطينيّة خاصّة، فكانت هذه الجدليّة صورة بارزة في أعمال عدد كثير من الأدباء الفلسطينيين. إنّ سميح القاسم شاعر ناضل من أجل وطنه بعد أن عاش ظروفاً قاسية من جانب أعدائه. لقد استطاع القاسم أن يصوّر جانباً من جوانب حياته سواءً كان موضوعاً ذاتيّاً أو اجتماعيّاً من خلال هذه الصورة.

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على صورة الأنا والآخر في شعر القاسم من خلال المنهج الوصفي التحليلي، ويبحث عن الأنا بأنواعها المختلفة وكذلك كيفيّة استحضار صورة الآخر في أشعاره المقاومة وهذا يكشف عن واقع الإنسان الفلسطيني وهواجسه وآماله وأفكاره ومعاناته. ومن أهم النتائج التي توصّل إليها البحث هي أنّ صورة الأنا تتجلّى بأنواعها المتعدّدة، والأنا الفرديّة نعني بها ذات الشاعر المناضل والجماعيّة يقصد منها كلّ إنسان فلسطيني لايزال إلى يومنا هذا يعاني الظلم ويذوق المرارة، ويبدو أنّ الشاعر جعل الأنا يمتدّ لكي يتّحد مع مجتمعه. فهو يجسّد الأنا في موقف متباين تجاه الآخر، ويتّخذ موقفاً عدائيّاً ونظرة سلبيّة وذلك يتّضح من خلال أشعاره التي تتضمّن مضامين المقاومة. وأمّا الآخر الأجنبي فهو الأمم المتّحدة والعدو الصهيوني الذي كان له ظهور بارز في شعر الشاعر وقد ظهر ذلك على صور وأشكال مختلفة وغير الأجنبي هو القادة العرب التي لا تختلف عنه لغة وثقافة وحضارة بل عقيدة وإيدئولوجيّاً، ولا يذود عنه تحت أي ظرف من الظروف.

الكلمات المفتاحية: الشعر الفلسطيني، المقاومة، الأنا والآخر، سميح القاسم.

الاقتباس: فتحي دهكردي، صادق، حسيني، سكينة . (١٤٠١). جدليّة الأنا والآخر في شعر سميح القاسم، مقالة محكمة،السنة الرابعة عشرة، الدورة الجديدة، العدد التاسع والأربعون، خريف ١٤٠١: ٢٢-١

المعرف الرقمي:10.30479/lm.2022.15342.3234

الناشر: جامعة الإمام الخميني الدولية

حقوق التأليف والنشر © المؤلفون.

* – عنوان البريد الإلكتروني (للكاتب المسؤول): *s.fathi.d@ut.ac.ir*

١. المقدّمة

يُعدّ علم الصورة من المباحث المهمّة في الدراسات المقارنة، وهو أكثر المجالات ملائمة لدراسة صورة الأنا والآخر في أدب شعب من الشعوب وتكمن أهميّته فيما تقدّمه من أفكار ثقافية وحضارية ودينية وتاريخية تساعد في معرفة الصورة التي يشكّلها الإنسان عن ذاته وعن الآخرين. وكذلك هذا العلم يركّز على دراسة صورة الآخر المخالف لصورة الأنا في النصوص الأدبيّة إذ يقوم بدراسة صورة شعب عن آخر مخالف له في تقاليده وديانته وحضارته وتاريخه وسلوكه، فبواسطة دراسة الصورلوجيا تعرف مكانة كل شعب لدى سائر الشعوب، إنّ الصورة هي عرض لواقع ديني، وحضاريّ، واجتماعيّ،...يقدر من خلالها الفرد أو الجماعة أن يعرّفا الآخر بأفكاره، والآخر الأجنبي هو الذي تجسّد صورته في أثر كاتب أو شاعر ما، فمن خلال تصوير الآخر يمكن أن تتجلّى ذات وسمات الأديب/الأنا. ويمكن القول إن الأنا والآخر قضيّة تختلف باختلاف وجهة نظر الأديب، قد يبرز بصورة معقّدة وقد يبرز بصورة بارزة. فثنائية الأنا والآخر قضيّة هامّة في العصر الحديث تشغل فكر كل أديب عربي عامّة وفلسطيني خاصّة.

لمصطلح الآخر في الدراسات الأدبيّة والنقديّة مفاهيم عدّة، فمفهومه في علم النفس يشير إلى مجموعة من السمات والسلوكات الاجتماعيّة والنفسيّة والفكريّة التي تنسبها فرد أو جماعة إلى آخرين، والأنا هي الذات الواعية لتصرّفات الإنسان بوصفه فرداً ما في المجتمع، له دوافعه ورغباته وطلباته. (تريسي، ٢٠١١: ١٧٠-١٧٣)

تكمن أهمية هذا البحث في إظهار الدور النضالي وتفاعل الشاعر مع الجماهير الفلسطينيّة وكفاحها ضد الاحتلال الصهيوني. قد برزت صورة الأنا والآخر في مجموعاته الشعريّة حين تغيّرت رؤيته السياسية وموقفه الفكري وكذلك دور القاسم في الحياة متأثّراً بما حدث في مجتمعه من التحولات السياسية والفكريّة العربيّة. تحتل هذه الجدلية منزلة بارزة في شعر القاسم وتجسّد الشعر الفلسطيني المقاوم بمضامينه القوميّة والإنسانيّة والوطنيّة في الأراضي المحتلّة. دراسة هذه الصورة تعكس لنا مجمل القيم والأفكار التي تشكّل وجدان الأمة وبالتالي تعكس مواقفاً فكريّة وثقافيّة ونفسيّة عربيّة تستحق أن تدرس وتحلّل. إنّ معرفة الأخرين يمكن أن تؤدّي إلى إيجاد التعامل والتفاهم بين الشعوب والثقافات المتنوّعة. والشاعر وسع صورة الأنا لمعرفة ذاتها وإثبات هويتها المتمحورة في الذات العربيّة المتركّزة في الأنا الفلسطينية وطموحاتها التي تكشف عن الآخر. إنّ الشعب الفلسطيني واجه معاناة عديدة لهذا يتّخذ الشاعر الفلسطيني سميح القاسم موقفاً ثوريّاً، وإيدئولوجيّاً واجتماعيّاً، وذلك من أجل المقاومة، من أجل البقاء ومن أجل الكرامة، من أجل تحرير الشعب من الاحتلال والظلم، من أجل قضيّة وطنه، فيصرّح الشاعر بأعلى صوته ويعمّق مواقفه تجاه الآخر الذي سلب أرضه وانتهك مقدّساته. فمن جرّاء الآلام والمآسي والصراعات التي واجهها الشاعر في مجتمعه يتّخذ القاسم موقف البحث عن الذات الفرديّة والجماعيّة تجاه الآخر، وهو لا يبتعد عن شعبه ووطنه. إذن يظهر من خلال شعره فكرة المقاومة والصمود وتجارب مأساويّة عاشها وسيظلّ يعيشها الشعب الفلسطيني، فهو يناضل من أجل وجوده وشعبه وهويّته العربيّة.
يحاول البحث من خلال دراسة كل مجموعاته الشعريّة أن يركّز على جزء قصير من حياة سميح القاسم وشعر المقاومة وجدليّة الأنا والآخر ويبحث عن الأنا بأنواعها المختلفة أي الفرديّة والجماعيّة، وكذلك يحاول ترسيم

كيفيّة استحضار صورة الآخر في نصوصه الشعريّة. فهو يصوّر الآخر بأنواع متعددة منها: الآخر الصهيوني والآخر العربي والآخر الأمريكي وأعضاء هيئة الأمم المتحدة.

ما هو هدف القاسم من التطرّق إلى موضوع الأنا والآخر في شعره؟

كيف يتعامل الشاعر مع الآخر؟

كيف يجسّد القاسم ثنائية الأنا والآخر في أشعاره المقاومة وما هي أنواعهما؟

١-١.خلفيّة البحث

فقد أنجزت بحوث متعدّدة حول موضوع الأنا والآخر والعلاقة بينهما، من أهمّها:

-كتاب تحت عنوان "التجليّات الفنيّة لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر"، (لأحمد ياسين السليماني، ٢٠٠٩م) يتطرّق البحث إلى ظاهرة الأنا والآخر وعلاقاتهما في النص الشعري لدى الشعراء المعاصرين أمثال أدونيس ومحمود درويش والبياتي وغيرهم. ويقول إنّ صراع الأنا بالآخر يطغى على أغلب النصوص الشعريّة العربيّة ولعلّ السبب يعود إلى وضع العالم العربي وصراعه مع الآخر.

-وكتاب "جدل الأنا والآخر: قراءات نقديّة في فكر حسن حنفي"، (لأحمد عبدالحليم عطية، ١٩٩٧م). يهدف هذا الكتاب إلى طرح قضيّة الفكر العربي المعاصر بشكل جماعي وذلك من خلال القضايا الأساسيّة التي طرحها الرّواد والمناهج، والهدف الثاني هو محاولة إيجاد حركة نقديّة جادّة. والدراسات التي طرحها الباحث في هذا الكتاب جميعها في القضايا التي طرحها المفكّر أي تدور حول كتابات المفكّر وعن فكره.

-وأطروحة تحت عنوان "الآخر في الشعر الجاهلي"، (لــ مي عودة أحمد ياسين، ٢٠٠٦م، جامعة النجاح الوطنيّة، كليّة الدراسات العليا، نابلس). يشير هذا البحث إلى مدى حضور الأنا في الشعر الجاهلي ويبيّن طرق اتّصال العربي بهذا الآخر ثمّ بيّنت الدراسة صورة الآخر القومي وأثره في الشعر، بعد ذلك ركّزت على الآخر الديني وأخيراً تناولت الآخر وأثره في لغة الشاعر الجاهلي.

-ومقال تحت عنوان "الذات والآخر في الرواية السوريّة: تكريس مبدأ القوّة"، (لخالد عمر يسير والآخرين، ٢٠١٣م، مجلّة دراسات في اللغة العربيّة وآدابها). يشير هذا البحث إلى أنّ الرواية السوريّة أرادت تصوير الواقع العربي وقد سعت إلى التعبير عمّا كان يهدّد الذات من مخاطر داخليّة من جهة ومواجهة الآخر من جهة ثانيّة، فرصدت دوافع الذات في انبهارها بالآخر كالدوافع السياسيّة والاجتماعيّة المؤثّرة في الواقع العربي.

-ومقال تحت عنوان "جدليّة الأنا والآخر في شعر عزّالدين المناصرة المقاومة"، (لمريم عباسعلي نژاد والآخرين، ٢٠١٩م، مجلّة الأدب العربي). يدرس هذا البحث صور الأنا والآخر عن طريق استقراء أشعار المناصرة معتمداً على مبادىء الصورلوجيا ودراسة أنواع صور الأنا والآخر فيها.

-ومقال "صورة الأنا والآخر في رحلات الحج العربية المعاصرة"، (لمعصومة نعمتي قزويني، ١۴٠٠، مجلة لسان مبين). يقوم البحث بدراسة ثلاث رحلات الحج لشكيب أرسلان ومحمد حسين هيكل ومحمد لطفي جمعة، وتوصّل البحث إلى أنّ مفهوم الأنا تجلّى في الأنا المسلم والأنا العربي ومفهوم الآخر قد تجلّى في شكل الآخر الغربي والتركي والشيعي.

وأمّا إذا أردنا أن نشير إلى الدراسات التي تمّت حول شعر القاسم فيمكننا أن نذكر:

-مقال "موتيف النخلة والزيتونة في شعر سميح القاسم"، (لكبرى روشنفكر والآخرين، ١٣٩۴ش، مجلّة إضاءات نقديّة) يشير هذا البحث إلى موتيفي النخلة والزيتونة في شعر القاسم مع الإشارة إلى المعطيات الإحصائيّة من تكرارهما في الأشعار وكذلك يفكّ الرموز والدلالات فيها.

-ومقال "التراث الديني في شعر سميح القاسم شاعر المقاومة الفلسطينية"، (لخاقاني إصفهاني والآخرين، ١٣٩٠ش، مجلّة دراسات في اللغة العربيّة وآدابها) يقف هذ البحث عند الدلالات الدينيّة في شعر القاسم وتناول قدرة الشاعر ومدى نجاحه في التفاعل مع التراث الديني، ويشير إلى أنّ الظروف السياسيّة في فلسطين المحتلّة جعلت الشاعر يعطي للتراث بعداً سياسيّاً ونفسيّا.

-ومقال "فكرة الموت وألوانه في شعر سميح القاسم"، (لحامد صدقي والآخرين، ٢٠١٥م، مجلّة اللغة العربيّة وآدابها) يتطرّق البحث إلى قضيّة الموت وألوانه من الزاويتين الجماعيّة والذاتيّة، ويشير البحث إلى أبعاد الموت عند الشاعر ويكشف عن رؤيته الجماليّة في معجم الموت ودلالاته في التعبير عن واقع الاحتلال. فيقول إنّ الموت بالنسبة للسميح بمثابة الحياة.

-ومقال "دلالية البطل في شعر سميح القاسم"، (لـعسكر علي كرمي، ١٣٩٨ش، مجلة بحوث في اللغة العربية) اعتمدت هذه الدراسة على النص الشعري لرصد تحولات البطل وقد توصلت إلى أنّ البطل كعنصر محوري قد اكتسب دلالات مختلفة، ففي البداية تغلب الدلالة الأسطوريّة على الموضوعيّة، وفي المرحلة الثانية يأخذ البطل جانباً سلبيّاً كدلالة على الضياع وفقدان الهوية.

-ومقال "تحليل الخطاب السياسي على المستوى الصرفي في أشعار سميح القاسم" موازنة بين الأشعار قبل حرب ١٩٦٧ وبعدها، (رقية رستم بور والآخرون، ١٣٩١ش، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها) يركّز البحث على المستوى الصرفي في قصائد من ديوان "مواكب الشمس" ومن ديوان "لا أستأذن أحداً" حتّى يكشف عمّا يسمّى فكرة الشاعر وإيدئولوجيته على الإحصائيات الصرفية في الأفعال المستخدمة في الأشعار وكذلك يتطرق إلى أبواب الأفعال الموجودة وأزمنتها في إطار المنهج الوصفي التحليلي.

-ورسالة تحت عنوان "الانزياح في شعر سميح القاسم" لوهيبة فوغالي، جامعة أكلي محند أولحاج البويرة، سنة ٢٠١٢م. تحاول هذه الدراسة أن تكشف عن الوظائف الجمالية من خلال الانزياحات الأسلوبيّة للشاعر سميح القاسم.

قد تمّت بحوث ودراسات متعدّدة حول الشاعر سميح القاسم وآرائه وأفكاره وكذلك حول موضوع جدليّة الأنا والآخر، لكنّنا لم نجد دراسة عن جدليّة الأنا والآخر في شعر سميح القاسم، ومن هنا يعدّ هذا البحث محاولة جديدة في هذا المجال.

٢. الإطار النظري للبحث

٢-١.سميح القاسم وشعر المقاومة

وُلِد سميح القاسم في مدينة الزرقاء الأردنيّة عام ١٩٣٩م من عائلة قرويّة. إنّه قضى دراسته الابتدائيّة في الرّامة وتعلّم فيها وعمل مدرساً لمدّة خمس سنوات، ترك بعدها التعلّم وتوجّه للعمل في مهنة الصحافة، فعمل في عدد من المجلّات الأسبوعيّة، وأوّل ديوان شعري له صدر عام ١٩٥٨م، بعنوان "مواكب الشمس" وكتب إلى جانب

الشعر القصّة والمقالات النقديّة، شعره كشعر توفيق زياد وراشد حسين ومحمود درويش من حيث اللغة البسيطة والصورة التي تشف عن معاناة الإنسان وآلامه داخل الأرض المحتلّة. (خليل، ٢٠٠٧: ٢٥٣-٢٥٤) هذا الشاعر وظّف شعره لخدمة قضيّة فلسطين، ورسم علامة النصر من فوق سفح قريته الرّامة التي تعانق سهول فلسطين، واستطاع بالكلمة أن ينصر على الظلم ويشكّل ملامح الوجه العربي الفلسطيني الأصيل رغم محاولات التغريب والإذلال. (الديك والآخرون، ٢٠١٤: ٣)

«مفهوم الأدب الفلسطيني المقاوم مع صمود المقاومة الفلسطينيّة واكتشاف ظاهرة شعراء الأرض المحتلّة، محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد وآخرين غيرهم، التي سرعان ما أصبحت خصوصاً بعد هزيمة ١٩٦٧، علامة على أدب المقاومة واسماً حركيّاً لعدد كبير من الشعراء الفلسطينيين الذين يعيشون في الأرض الفلسطينيّة وكذلك في المنافي». (عبدالغني، ٢٠١٢: ٣١) «إنّ شعر المقاومة الفلسطيني شعر نابع من المعاناة والآلام، والمواجهة اليوميّة مع الاحتلال الذي يمثّل باعتراف الجميع أسوأ احتلال عرفته الشعوب في قديم أو حديث. ولذا فإنّ مظاهر التنكيل، والاضطهاد والتعذيب والترهيب التي يلجأ إليها المحتلّون تجد صداها في بعض القصائد». (خليل، ٢٠٠٧: ٢٥٧) إنّ الالتزام بالقضيّة الوطنيّة، الالتزام الواعي، هو الإطار الذي استطاع أن يقود خطوات أدب المقاومة في فلسطين المحتلّة نحو مسؤوليّاته دون أن يفقد أي بعد من أبعاده، هذه الأبعاد تدور في فلك واحد هو فلك المعركة ضدّ الاحتلال الإسرائيلي. (كنفاني، ١٩٦٨: ٧٤) من المشاكل التي واجهتها فلسطين هي معاناة الاحتلال التي أدّت إلى سلب حريّة الشعب الفلسطيني وسيادتهم على الوطن. سميح القاسم من الشعراء الذين كانوا في طريق المقاومة، إنّه لم ينعزل عن ساحة بل لعب دوراً بارزاً في تحريض أبناء شعبه على الكفاح والثورة على الأعداء. (رستم بور والآخرون، ١٣٩١: ٢٨-٢٧) «سميح القاسم واحد من الشعراء الذين أظهروا تفاعلهم الخلّاق مع قضيّة الجماهير العربيّة وكفاحها ضد الكيان الصهيوني، فنتج عن ذلك استلهام الشاعر سميح القاسم للتراث العربي والإنساني والتاريخي، الأدبي والديني والأسطوري، فمثل ذلك تواصلاً مع التراث وتواشجاً بين الماضي والواقع الرّاهن». (فوغالي، ٢٠١٢: ٥)

٢-٢.جدل الأنا والآخر

تُعدُّ دراسة الصورة الأدبية من ضمن الدراسات المقارنة التي تهتمُّ بتصوير جدلية أو الصراع والاختلاف الموجود بين الأنا والآخر في النصوص الأدبية، وكذلك تبرز الثنائيات الضدية ما بينهما. في القرون الأخيرة نشعر بأهمية هذه الدراسات النقدية أكثر لأنّ العصر الذي نعيش فيه ملىء بالاختلافات القومية والثقافية والتدخلات الأجنبية وغير الأجنبية تحدث بينهما. (بلاوي والآخرون، ٢٠٢٠: ٤٠) «من المفترض أن تكون العلاقة بين الأنا والآخر قائمة على أساس التفاهم والوفاق، ولكن قد تقوم هذه العلاقة على التعصّب وإلغاء الآخر. المقصود بالآخر الأجنبي هنا كل ما هو غير عربي وينتمي إلى ثقافة أجنبية سواء أ كانت شرقية كالفارسية والتركية و... أم غربية كالثقافة الفرنسية أو غيرها من الثقافات». (رضاپور محيسني والآخرون، ١٣٩٨: ٧٦) «إنّ الأنا هي النفس البشريّة بما تملكه، وتحمله من مميّزات ومظاهر ثقافيّة ووطنيّة وإيدئولوجيّة ودينيّة وحضاريّة وما تحويه من أفكار وطموحات وصراعات، أي أنّها مركز الشخصيّة في نفس الفرد الإنسان، فهي تنمو عن قدراتها من خلال البيئة المحيطة، أو الوسط الاجتماعي ويبرز الشعور بالأنا من خلال تلازم الذات مع الآخر». (الذويخ، ٢٠٠٩: ١٠).

والذات أو الأنا العربيّة تمثّل الذات الإسلاميّة، من حيث الدين، واللغة، والعقيدة والتفكير والحضارة...، فالآخر بالنسبة لها هو كل من يختلف عنها دينيّا، ولغويّاً، وثقافيّاً وحضاريّا كالترك والروم، والفرس، وقد يكون هذا الآخر فرداً أو جماعة أو شعباً كما قد يكون قريباً أو بعيداً، صديقاً أو عدوا. (شاوش، ٢٠١٤: ٢٢-٢٥) «إنّ جدل الأنا والآخر واقع في كل مجتمع ولدى كلّ شعب وأمة. لا يوجد مجتمع ليس به أنا وإلّا كان في حاجة إلى إثبات وجوده أوّلاً. وقد حدث ذلك المجتمعات العربيّة في حركات التحرّر الوطني. "أنا أتحرّر فأنا إذن موجود". ولا يوجد مجتمع ليس به آخر. فالآخر بالنسبة لأمريكا الشماليّة هي روسيّا الاشتراكيّة. والآخر بالنسبة لليابان هو اللاياباني، العالم الأجنبي كلّه». (حنفي، ١٩٩١: ٧٧٦) ولكن يظلّ الآخر بالنسبة للشعب الفلسطيني هو العدو الصهيوني أي الآخر الذي نهب أرضه وانتهك مقدّساته.

إنّ علاقة العرب بالآخر علاقة ترجع إلى ما قبل الإسلام حيث اتّصل العرب بالفرس والروم وبرزت صورة الآخر في الشعر الجاهلي بجوانبها المختلفة، وكان الأعشى أكثر شعراء العصر الجاهلي استحضاراً لصورة الآخر. حيث نجد الحضور الفارسي قويّاً في شعره، وبعد ذلك وصلت إلى عهد الخلفاء الراشدين ووصلت إلى العصر العبّاسي، وبعد ذلك رأينا صورة الآخر ظهرت في الشعر العربي الحديث حيث اتّخذت علاقة الشعراء بـــ "الآخر" صوراً جديدة من التفاهم والتصالح والحوار وتعمّقت هذه الصورة وازدادت ملامحها وضوحاً وبروزاً تبعاً لتطوّر الإنجازات العلميّة وتوّسع تقنيات الاتّصال. (عيسى، ٢٠١١: ٥-٧) إنّ العلاقة الّتي تجمع بين الأفراد في المجتمع لربّما تدخل ضمن نطاق الأنا والآخر، وليس هناك ضرورة تدعو إلى أن يكون "الآخر" عدواً معانداً لـ "أنا". ومن هذا المنطلق يمكن القول: «إنّ الآخر ينقسم إلى الآخر الذي يقع ضمن ثقافة الأنا والآخر الذي يقع خارج ثقافة الأنا». (نامور مطلق، ١٣٨٨: ١٢٣) وهناك بين الأنا والآخر علاقة جدليّة لا يمكن إلغاؤها أو تجاهلها، إذ إنّ طبيعة الحياة تقيم هذه الثنائيّة، فهما طرفان منفصلان ومتّصلان، مفترقان ومتّحدان معاً، في الوقت نفسه. تكمن أهميّة دراسة الأنا والآخر بالنسبة إلى الأدب والنقد، في كونها تقودنا إلى فهم طبيعة علاقة الإنسان بنفسه وبيئته ومحيطه ومجتمعه. فما فتىء الإنسان ينشئ الصراع تلو الصراع مع نفسه وبنى جنسه، حتّى إنّنا لنقول: إنّ الإنسان قرين المشكلة، ننظر حولنا فلا نجد أحداً لا مشكلة لديه، كبيرة أو صغيرة. وكلّها مشكلات نابعة من اختلاف عندي بين ما أريد وما أودّ، وما أحبّ وما أكره. والإنسان "الآخر" هو من أوجدَ كل هذه الاختلافات أو التناقضات، سواءٌ أكنتُ أنا هذا الآخر، أم كان غيري. (تريسي، ٢٠١١: ١٧٣-١٧٤)

إنّ العلاقات الضديّة والثنائية والصراع بين الأنا والآخر تكشف عن معاناة الأنا ومواقفه الفرديّة والإنسانيّة والثقافيّة، ومن خلال هذه العلاقة يمكن أن نتعرّف على مكانة كل شعب لدى سائر الشعوب، وكذلك نفهم طبيعة علاقة الإنسان ببيئته ومجتمعه. لمصطلح الآخر مفاهيم متعدّدة فيمكن القول أنّ الآخر هو الذي له صورة عدائية يقدّمها كاتب ما أو شاعر ما في نصّه الأدبي، ويختلف عن الأنا/الأديب هويّة وحضارة وثقافة، أو هو الذي لا يختلف عنها هويّة وديناً وجنساً بل يختلف رؤية وعقيدة. وكذلك يبقى مفهوم الأنا متعدد المدلول فيمكن القول أنّ مفهومها ترتبط بالهويّة الفرديّة وخصائصها الفكريّة والثقافيّة، أو ترتبط بمفهوم المجتمع وما يشكّل تراثه وحضارته وقيمه.

٣.الاطار التطبيقى للبحث

١-٣.تجليّات الأنا في شعر سميح القاسم

١-١-٣.الأنا الفردية

إنّ صورة الأنا في شعر القاسم مجسّدة في ذات الشاعر سميح القاسم، المناضل السياسي أو كل إنسان فلسطيني لايزال إلى يومنا يعاني القهر والظلم والاضطهاد، فالأنا الفرديّة رغم العذاب والمعاناة التي واجهتها في مجتمعها تبقى صامدة أمام العدو المحتلّ وتفتخر بقوّتها وشجاعتها وبطولتها. لذلك من أكثر الأغراض ارتباطاً بموضوعية "الأنا الفرديّة" هو الفخر. (السّلامي، د.ت: ٣) كما يقول سميح يفخر بنفسه:

«مُنتصبَ القامةِ..أمشي/ مرفوعَ الهامة..أمشي/ في كفّي..قَصفةُ زيتونٍ وحَمامة/ وعلى كتفي..نعشي/ وأنا أمشي/ قلبي قمرٌ أحمر../قلبي بستان../شفتاي..سماءٌ تمطر/.../ وأنا أمشي..أمشي/ منتصبَ القامةِ..مرفوع الهامة../ في كفّي قصفةُ زيتونٍ وحمامه/ وعلى كتفي..نعشي!!..» (القاسم، ١٩٨٧: ١٧٤)

إنّ القوّة والبطولة والشجاعة من القيم العربيّة التي ترسمها الأنا لنفسها ونلاحظ بأنّها تفتخر بذاتها لأنّ ذلك يحطّ من قيمة الآخر/العدو، ويبدو أنّ فعل "أمشي" يعبّر عن تحدّي الأنا للآخر كما أنّ عبارات (منتصب القامة ومرفوع الهامة) تحمل كل هذه الدلالات، ولعلّ الفعل الثوري هي السبيل الوحيد لتحقيق غرضه الذي تبتغيه الأنا بالرغم من مشاعر الحزن والمأساة التي واجهتها الأنا طوال حياتها. وشجرة الزيتون تحمل في طيّاتها دلالة الهويّة التي تميّز الأنا من الآخر. فيجسّد الشاعر الأنا الفرديّة لمقارعة الخصم/الآخر. والصور التي يستخدمها الشاعر تشير إلى الكفاح والمقاومة ضدّ العدو. إنّ الشاعر في هذا المقطع الشعري يوظّف مفردات تعبّر عن ذاتيّة الأنا كـــ (كفّي، كتفي، نعشي، قلبي، شفتاي) وهي بذلك تشير إلى غياب الآخر عنها ومن جانب آخر تكشف لنا العلاقة الجدليّة بين الأنا والآخر.

إنّ ظروف العصر والمشاكل الّتي عاشها الشاعر واستمرّت لسنوات طوال هي التي تدفع القاسم إلى المواقف والأفكار تجاه الآخر وتسبّبت نوعاً ما إلى أن يضحّي الشاعر بنفسه ويتحمّل الحرمان في المواقف المختلفة مثل: (بيع الثياب والفراش، العمل في مجال النحت والحمل والكنس، احتلال جزء من أرضه، السلطه على ميراث العظماء وإحراق الكتب، وتحوّله إلى طعام للكلاب و...) ولكن لا يساوم العدو ويتابع طريقه في المقاومة:

«ربّما أفقدُ_ما شئتَ_معاشي/ ربّما أعرضُ للبيع ثيابي وفراشي/ ربّما أعملُ حَجّاراً..وعتّالاً..وكنائسَ شوارع../ ربّما أخمدُ..عرياناً..وجائع../يا عدو الشمس..لكن..لن أساومْ../ ربّما تسلبُني آخر شبرٍ من ترابي/ ربّما تُطعمُ للسجنِ شبابي/ ربّما تسطو على ميراثِ جدّي/ ربّما تُحرقُ أشعاري وكُتبي/ ربّما تُطعمُ لحمي للكلابِ/ ربّما تَبقى على قريتنا كابوسَ رُعبِ/ وإلى آخر نبضٍ في عروقي..سأقاوم!!../ ربّما أُحرمُ مِن أمّي قُبله/ ربّما تحرمُ أطفالي يومَ العيد بدله/ ربّما ترفعَ من حولي جداراً وجداراً وجدار/.../ وإلى آخر نبضٍ في عروقي../ سأقاوم../ سأقاوم../ سأقاوم!!..» (المصدر نفسه: ٤٤٧-٤٥٠)

فيصوّر الشاعر في قصيدة "خطاب في سوق البطالة" طبيعة انفعالاته وأفكاره وعواطفه، فجاءت هذه العواطف والسلوك على مستوى الأفعال الفرديّة: (ربّما أفقد، أعرض، أعمل، أخمد، لن أساوم، أُحرم، أقاوم...)، وعلى مستوى أفعال العدو المغتصب: (تسلبني، تطعم، تسطو، تحرق، تبقى، تحرم، ترفع). في عمليّة الفصل بين أفعال

الأنا/الشاعر وأفعال العدو، سمة تشير إلى ضرورة الفصل بين فعل الأنا وفعل العدو الصهيوني، وأنّ هذه الأفعال لا يمكن أن تلتقي أبداً، فهو يقابل بين الأنا والمحتل، ويشير إلى حال الأنا المتألمّة وحال العدو الذي لا يُعني بمعاناة الأنا وهو حرّ تمام الحريّة في أعماله اللاإنسانيّة كما في قوله: (تُطعمُ للسجنِ شبابي و تُطعمُ لحمي للكلابِ و...) إذن، فإنّنا نشهد استمرار هذا الفصل والتقابل حتّى نهاية القصيدة، ولا يجد الشاعر لها نهاية. إنّ الشاعر يعتقد بمتابعة المقاومة حتّى الموت، وهو شاعر قد عانى ما عانى في حياته؛ فإنّه لن يستسلم ولن يساوم العدو؛ وإن مات "الأنا/ الشاعر" في سبيل تحقق هذه الأمنيات والتطلّعات الّتي يطمح إليها في الحياة. إنّه يتّجه نحو الدلالات الثانية للتراكيب: (سأقاوم..سأقاوم..سأقاوم) فهو يحاول أن يعود إلى الحس الحماسي والنضالي عنده ثمّ إحساسه بوجود المحتل المغتصب يجتهد لكي يحدّ من نفسيّة المقاومة عنده وبذلك يُحقّق أهدافه المرجوّه، فنلاحظ أنّ فكرة الكفاح سيطرت على ذهن الأنا/الشاعر من بداية القصيدة إلى نهايتها، وما يعمّق هذه الفكرة تركيز الأنا على تكرار الجملة الفعليّة "سأقاوم" عدة مرّات. يعمد الشاعر إلى ذكر الأساليب المتعدّدة وتكرارها بغية استنهاض الهمم لصدّ العدو المغتصب، ولعلّ المقطوعة الأخيرة تشير إلى أنّ النضال رغم العذاب وقسوته مستمر ورغم هذه المحن والآلام فإنّ الأنا ستنتصر.

هناك لسميح القاسم دور نضالي في سبيل القضايا الاقتصاديّة التي تتّصل اتّصالاً مباشراً بالطبقات الفقيرة أمام الطبقة العليا، فهو يناصر الطبقة المستضعفة الفقيرة ويساندها في أشعاره وفكره. (زيدان، ٢٠٠٩: ٢١٧). فيقول في قصيدة "أنادي الموت":

«فأنا يا أمّ أطفالي الشقيّة/ أنا لا أنكرُ مأساتي الطويلةْ/ أنا لا أبني سياجاً، حول أحلامي القتيلة/ إنّني أرفعُ وجهي للرياح/ أتحدّاها..وأعطي في الصباح/ للمساكين، تراتيلي القليلة/ أنا لا أنكرُ مأساتي، ولا أُخفي عذابي/ فاغفري لي،» (القاسم، ١٩٨٧: ٢٢٨-٢٢٩)

إنّ الشاعر «يذكر شيمه العربيّة الأصيلة المفعمة بنصرة الضعيف والمسكين». (السّلامي، د.ت: ۶) تظهر الأنا في هذا الشعر ذا شخصيّة متفردّة وذات مستقلّة وتفكير متميّز والأنا هنا تمثّل الشعور الفردي الواقعي تجاه الآخرين وهذا تعبير من القاسم عن أدائه لواجبه تجاه أبناء شعبه.

٣-٢.أنا الجماعيّ

إنّ صورة الأنا في شعر الشاعر قد تُجسّد في صورة الأنا الجماعيّة ويجعلها الشاعر غنيّة ودقيقة. وكذلك من خلالها يشير إلى مأساة الأنا الفلسطينيّة ومقاومتها والتطلعات والآمال التي تطمح إليها في المجتمع. هذه الأنا لا تجسّد معاناة فرديّة فحسب بل تشير إلى معاناة عاشها المجتمع الفلسطيني وسيظلّ يعيشها، فهو من خلال هذه الصورة يتحدّث عن الأنا الجماعيّة وما يشكّل ثقافتها وحضارتها وتراثها الماضي والحاضر.

إنّ التراث جزء من الواقع ومن المكوّنات النفسيّة للمجتمع وهو مازال يحكم سلوك الجماهير ويصوغ تصوّراتها. فالمجتمع العربي يتميّز بأنّه مجتمع تراثي لم يتخلّص من ماضيه. (عطية، ١٩٩٧: ٢٤) إنّ صورة الأنا هنا تجتمع فيه ذاكرة الماضي إلى جانب رؤى الحاضر، لذلك حين يقدّم صورة لمجتمعه تكون مطبوعة بطابع العلاقة الاجتماعيّة والدينيّة والثقافيّة والأدبيّة التي تشدّ الأديب إلى مجتمعه وما يشكّل هويته، فالأنا تستند إلى تجارب كافيّة وغنيّة لأنّها ولدت ونشأت في ذلك المجتمع فإنّ المعرفة العميقة بالمجتمع تجعل صورة الأنا

الجماعيّة في أدب الشاعر غنيّة ودقيقة وتفصيليّة. (حمود، ٢٠٠٠: ١١١) إنّ الشاعر في هذا المقطع الشعري يرسم لأنا صورة متعالية ويتحدّى العدو/الآخر بالأنا ويقول:

«-أنا ابنُ الشمس..والأعصار..والموجةْ/ أنا ابنُ الساعدِ المَفتولِ..واللَولَبِ..والضَّجة/ أنا المتمرّدُ الدامي..فلا لن أعبدَ الصمتَ!/-وما ماضيكَ/ كُتْبٌ جمّةٌ..والتمرُ..والشمسُ/ وغارُ الوحي..والتكبيرُ..والدعوة/ وسيفُ الله..والرومانُ..والفُرس/ وما الحاضرُ/ وجذرٌ..لم يزل يمتدّ../ عميقاً..تحت أنقاضي!/ وكنزٌ من شروحِ الفقه..والأنسابِ...الوعظ/ أنا أقسمتُ! يا شعبي!..أنا أقسمتُ/ أن أسهرَ طولَ الليل..أن أسهرَ طول العمر../أن أسهرَ حتّى الموت/ أنا أقسمتُ أن أسهر!!.» (القاسم، ١٩٨٧: ٥٣٠-٥٣٢)

والفخر بالنفس والآباء والأجداد، ليس فخراً فرديّاً محضاً، فالشاعر من خلال فخره بذاته ينقل إحساس الجماعة من خلال هذه الذاتية، فيتنامى الإحساس الفردي ليصل إلى إحساس جماعي. (تريسي، ٢٠١١: ١٧٨) إنّ الأنا في البداية ترسم صورة عن نفسها من أجل إثبات وتحقيق كيانها، فهي تؤمن بقوّتها كأداة لإثبات الأنا. إنّ الشاعر يشير في كلامه إلى مكان نزول الوحي أو تراثه الديني والأدبي، وإلى بطولات وانتصارات الجزيرة العربيّة على امبراطوريّات كالفرس والرومان. ومفردة «السيف أداة القتال ورمز الشجاعة وعنوان الفروسيّة وباب الفتوح ودليل القوّة وبه يكون للعطاء معنى وللكرم مغزى». (بوحلايس، ٢٠٠٨: ٨١) فهو بذلك يُعرّف هويّته الشخصيّة ويفخر بتراثه الماضي والحاضر، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على انتماءه إلى المعالم الأصيلة والعريقة. هنا اتّخذت الأنا تجاه المحتل المغتصب إيدئولوجية المقاومة والكفاح والنضال، فالصّور التي يجسّدها القاسم للأنا مفعمة بالإيجابيّة وإيغالاً في بيان عظمته وصلابته ومتانته المستمرّة دون أي انقطاع. إذن يشير من خلال هذا الكلام إلى انتصارات الأنا العربيّة وثقافتها وديانتها وأدبها على الآخر التي تختلف عنه فكريّاً وثقافيّاً ودينيّا.

ونرى في قسم آخر مشاعر مشتركة بين الشاعر وأبناء شعبه. حيث يقول:

«فارحميني!/ ارحميني../لهجتي المُتعَبه/ رايتي المُتعَبه/ طال..طال الفراق/ وأنا عائد بعد حين/ للبلاد التي حزنها ياسمين/ عائد..للوثاق.» (القاسم، ١٩٨٧: ٦٦٤)

لا يقصد الشاعر نفسه فحسب من خلال توظيفه الضمير المتكلّم للوحده في "ارحميني ولهجتي ورايتي"؛ بل هو شعور مشترك بين جميع الشعب الفلسطيني. الواقع المرير الذي لا يتعايش معه الشاعر فحسب بل يعاني منه المجتمع الفلسطيني بأسره. ومن المعروف أنّ العَلَم واللغة لا يتعلّقان بشخص خاصّ. إنّ الشاعر يشخّص لهجته ورايته ويمنحها صفات إنسانية؛ لأنّه يُظهر لها احتراماً وتبجيلاً كثيراً. عَلَم كلّ بلد، يعني ثقافة البلد وحضارة الشعب وهويّته واللغة أيضاً تعني ميراث الشاعر وهذا جزء لا يتجزّأ من هويّة الشعب الفلسطيني.

وإذا كان كثير من الأشعار تهتم بانعكاس صورة الأنا فهناك رؤى تحمل طابعاً سلبيّاً وتخلق من الأنا صورة تحطُّ من قيمتها، إنّ الأنا هنا لا تكون عندها إرادة صلبة وقويّة للتّغلّب على الأعداء وتخطّي المعاناة والأحداث، فنرى بأنّ شعرها يتحوّل إلى الأنا الخاضعة لقوّة العدو الذي اغتصب أرضها، وفي هذا الأثناء ليست الأنا إلا الشخص الضعيف والمغلوب أمام الآخر. وهذا ما ورد في قوله:

«إنّني أصبحتُ جُنديّاً جَبان/ أكرهُ الرشَّاشَ، والزَحْفَ، ولو قالوا..مقدَّس!/ فأنا أفهمُ أنّ اللوزَ، إن يُهمَلْ..تيبّس./ وأنا أفهمُ، أنَّ الحشرات/ سوف تغزو وطنيَ المتروك/ ...أنّ نارَ الجبهةّ اشتدّت، وغطّانا الدخانُ.» (المصدر نفسه: ٢٢١)

في هذا المقطع يرسم القاسم أنا الجماعيّ، ويرى نفسه من أولئك الذين لهم دور في مصائب البلاد ومشاكله. إنّ الشاعر يرى نفسه واحداً منهم. إنّ الأشخاص الذين يخشون مواجهة العدو المحتلّ فإنّهم يتنازلون عن موقفهم في المقاومة والمثابرة أمام العدو. إنّ نظرته المتشائمة يمكن أن تكون وليدة عوامل فرديّة أو اجتماعيّة وأساسها عدم التلاؤم والتضامن بين الأنا وشعبها، ويبدو أنّ انكسار الأنا لا يكون للآخر، بل هذا يرجع إلى عدم وحدة الشعب واتّحادهم ممّا يجعل الأنا خاضعة له، وهذا بمعنى أنّ الحياة لا تبقى على حال.

ويقصد الشاعر من خلال ضمير "ياء المتكلّم" في "أطفالي"؛ أبناء بلده في فلسطين. الأطفال الذين تستقبلهم دموع الشوق من جهة ومن جهة أخرى يستقبلهم خوف ومواجهة الأعداء والهراوة في يد الشرطة، والقنابل الفسفورية والنار. إنّ الأنا الفلسطينيّة لاتزال إلى يومنا هذا تعاني ظلم العدو وجوره:

«يولدُ أطفالي/ تستقبلهم دموعُ الحبّ/ ورَعدةُ الخوف/ تنتظرهم/ عيونُ الكلابِ المَسعورة/ هِراواتُ الشرطة/...يولد أطفالي/ تولد معهم قنابلُهم الفوسفوريَّة/ بأضوائها المدهشة/ مثل الألعابِ الناريّة/...يولدُ أطفالي مع نعوشِهم الصغيرة..» (القاسم، ١٩٩٣، ج٣: ١١٢-١١٣)

إنّ توظيف الأدوات الحربيّة المتعدّدة ضدّ الأطفال في البلاد، يحكي لنا مدى خوف العدو من المستقبل؛ فإنّ وجودهم قد تسبّب في خوف العدو ورعبه. يُظهر الشاعر سيماء الطفل الفلسطيني على صورة إنسان مظلوم قد عانى ما عانى من الاضطهاد والألم؛ كأنّما يريد أن يُصوّر الشعور النفسي الذي ينتاب المجتمع إزاء ظلم العدو. يكرّر الشاعر عبارة "يولد أطفالي" ثلاث مرّات، فهو يبيّن آلام الطفل الفلسطيني ويبيّن لنا أيضاً بأنّهم لا يجدون من نصير ينصرهم.

إنّ قرية كفر قاسم هي رمز للمجازر التي يرتكبها الإسرائيليّون ورمز للظروف الصعبة والمناخ المظلم أو الممارسات الإجراميّة التي عاشها الشعب الفلسطيني. (أبوشاور، ٢٠٠٣: ٣٢٦) لذلك يشير الشاعر في هذا المقطع الشعري إلى ما لحق الأنا من قتل وظلم واضطهاد:

«وأنا يا كفر قاسم/ أنا لا أنشدُ للموتِ. ولكن/ليدٍ ظلّتْ تُقاوم!/ أنشدُ للريحِ الممنوعةْ/ أنشدُ للأيدي المقطوعةْ/ لا يُفرحُ قلبي أنّا ما متنا/ يُفرح قلبي..أن نحيا!» (القاسم، ٢٠٠١، ج٣: ١٠٩)

إنّ مفردة "الريح" توحي بحريّة سلبت منه ومن أبناء شعبه. من أصعب الأشياء في العالم هو سلب الحريّة من طرف الآخر المتفوّق على الأنا بالوسائل والأدوات المتطوّرة، فلا تشعر الأنا هنا باليأس والقنوط، بل يحاول الشاعر أن يحثّ على المقاومة من خلال أشعاره. كما في قوله: (أنشد ليدٍ ظلّت تقاوم). في هذا المقطع الشعري استخدم القاسم لفظ "كفر قاسم" ليقرّر بذلك الواقع الأليم الذي تعيشه الأنا والشعب الفلسطيني في عهد الاحتلال، فيؤدّي ذلك إلى تحريك المشاعر الوطنيّة للمقاومة والكفاح. يظهر لنا التفات الشاعر بالنسبة إلى معاناة الشعب ومآسيه من خلال توظيفه التعابير المختلفة، مثل: (مقاومة اليد، الحريّة المفقودة، الأيادي المقطوعة في طريق الحرية، مجزرة كفر قاسم)، فنرى أنّ الشاعر لا تفارقه معاناة شعبه، وهذه معاناة الأنا الفلسطينيّة إبّان العدو المغتصب الذي نهب وسلب وطن الأنا. علاوة على هذه المآسي المشتركة، فإنّ الحياة في ظلّ الحرية أيضاً تعدّ ضمن الأهداف والأحلام المشتركة الّتي كان يطمح إليها النّاس في هذا البلد. وبالتالي هذه "الأنا" لا تعكس المخاوف والآلام والمشاكل الفردية فحسب؛ بل إنّ هذه المعاناة هي مشاكل يعاني منها جميع النّاس في هذه الأرض.

وفي مكان آخر يشير سميح القاسم إلى الظروف الصعبة التي يعيشها الشعب الفلسطيني حيث لا يتيح للعامل أن يجد عملاً، وهذا مشروع من جانب العدو الصهيوني من أجل خلق ظروف قاسية تجبر الفلسطيني أن يغادر وطنه. فيخاطب الشاعر أمّه في قصيدة "قميصنا البالي" ويقول إنّ العيش مستحيل في هذا البلد لأنّه بدون عمل وبدون معاش، فأنا أفضّل أن أرحل إلى بلد آخر. (زيدان، ٢٠٠٩: ٢٢٣) فهو ما توضّحه الأبيات التالية:

«أمّاهُ إنّ بقاءَنا في هذه الأرضِ انتحار!/ السُوسُ في كُثْبي..وفي قلبي يُغيّمُ الاحتضار/ أمّي! طحنتُ الماءَ في المَقهى/ ومَسَحتُ كلَّ موائدِ المَلهى/ وطُرِدتُ من بابٍ إلى بابِ/ وتَهَرَّأت نعلي وأثوابي/ شُتمتُ في صَلَفِ/ وطُعِنتُ في شرفي/ وحُملتُ مخموراً على أكتاف أصحابي وبكيتُ في ذل وعارْ/ ومكاتبُ العمل انتظار.» (القاسم، ١٩٨٧: ٤٥٥-٤٥٦).

وقد يرسم الشاعر/الأنا صورة سلبيّة لمجتمعه وهذا ما نلاحظه في كثير من الأعمال الأدبيّة، لكنّنا نرى وراء تلك الصورة رغبته في إصلاح المجتمع أو تغييره نحو الأفضل، وليس الإساءة إلى المجتمع وهدمه. (حمود، ٢٠٠٠: ١١١) والشاعر التحم مع المجتمع وتعايش مع أبناء شعبه، لذا يشير إلى آفات اجتماعيّة منها البطالة والفقر. فالشاعر من خلال ضمير "ياء" المتكلّم و"التاء النائب للفاعل" يصوّر حقائق شعبه ويتحدّث بلسانهم. إنّ الفقر والبطالة من المعاناة التي لا تخصّ الشاعر وحده، بل يعاني منها جميع النّاس في هذه الأرض، وهذه الحالات هي إحساس كثير من أبناء شعبه. فهذه الظروف السيئة عادة تجعل شعبه أن يغادروا وطنهم لكي ينجوا من المشاكل والأزمات المعيشيّة.

إنّ السبب الأساسي لصراع سميح القاسم مع العدو الصهيوني هو أنّ سميح في أشعاره يسعى إلى تأكيد "هويّته العربيّة" التي يسعى العدو الصهيوني إلى طمسها، ويسعى إلى إبراز الطابع الفلسطيني، الذي يسعى هذا العدو إلى طمسه ليعيش الشعب الفلسطيني في عزلة اجتماعيّة وحضاريّة وتاريخيّة وثقافيّة، فيجسّد الشاعر صراعه في قصيدة "حواريّة السنبلة وشوكة القندول". هنا استعان القاسم برمز "السنبلة" ليرمز به إلى فلسطين المحتلّة. وشوكة القندول هي إسرائيل. والنار تدلّ على الحرب والصراع في الأرض المحتلّة. والحقل رمز للأرض والوجود. (زيدان، ٢٠٠٩: ٢٠٥) إنّ الأنا العربيّة هنا متمثّلة بذات الشاعر وهي تعبّر عن ظلم العدو وجوره للأنا وكذلك رغبة الآخر المغتصب في إذلال الأنا. فيقول القاسم بأعلى صوته:

«السنبلة: عيشي وموتي كيف شئتِ/ ما بين زهرتِك الحزينه/ وظلامِ شهوتِك اللعينه/ عيشي وموتي..واتركيني/ شوكة القندول: قدرٌ علينا..أن تعيشي كي أموت/ أو أن تموتي كي أعيش/ السنبلة: في الحقلِ متسع لنا/ شوكة القندول: يا جارتي قدرٌ علينا/ (تدخل النارُ وينهض الرعبُ).» (القاسم، ١٩٩٣، ج٢: ٦٦-٦٧)

هنا يضعنا القاسم أمام صورتين متباينتين: صورة عن العدو المغتصب وما يحمله من ظلم واضطهاد، وصورة عن وطنه، فنرى من خلالهما صراعاً بين الأنا والآخر، لأنّ العدو المحتلّ يحاول كثيراً أن يطمس هويّة الأنا الفلسطينيّة وكيانها وطابعها العربي، غير أنّ محاولته تكون صوريّة، فطابعها مازال باقيّاً على مرّ الزمن، ويحاول الشاعر أن يبرز أمام العدو إصالته وهويّته وانتمائه إلى المجتمع الفلسطيني. فالشاعر إذن يتحدّث عن قضيّة مأساويّة والواقع المرير الذي عاشها الشعب وسيظلّ يعيشها وهو أنّ العدو المحتلّ يحاول أن يبسط نفوذه وسيطرته على الأنا الفلسطينيّة لكن هذه الأنا تؤكّد رفضها وعدم قبولها. فهذا المقطع الشعري يمثّل لنا صورة من الصور المأساويّة التي تجسّدها الأنا حينما يرى نفسها أمام عدو لا يؤمن بحق الشعب الفلسطيني في استرداد

وطنهم السليب. وهكذا تكشف لنا هذه الأسطر أنّ همّ الأنا ليس همّاً فرديّاً بقدر ما هو همّ جماعي، والأنا هنا تسعى إلى إثبات هويّتها التي لا تخرج عن التصوّر الوطني العربي.

٤.تجليّات الآخر في شعر سميح القاسم

إنّ قضيّة الأنا والآخر قضيّة تختلف باختلاف وجهة نظر الأديب، وهما متلازمان، ففي شعر القاسم قد يكون الآخر قريباً كما يمكن أن يكون بعيداً. إنّ الآخر الذي لا يختلف عن الشاعر لغة وحضارة وثقافة بل يختلف عنه فكريّاً وعقيدةً وهو لا يشارك همومه وهموم شعبه ولا يدافع عنه تحت أي ظرف من الظروف، كـالقادة والحكّام العرب. وأمّا النوع الآخر هو العدو الصهيوني والأمم المتّحدة وأمريكا التي تختلف عنه حضارة ولغة ودين وثقافة وعقيدة، وكذلك تحاول أن تطمس الشعب الفلسطيني لكي يعيش في عزلة حضاريّة وثقافية واجتماعيّة. فالقاسم من خلال أشعاره يحارب هذا الآخر ويحاول إبراز طابعه الفلسطيني وهويّته، لأنّ جذوره أصبحت ممتدّة في هذه الأرض.

من أهم حالات الفهم والقراءة في صورة الآخر هي: أ. التشويه السلبي: في هذه الحالة نلمس علاقة عدائية بين الآخر والذات أو الأنا أو النحن، فهذه العلاقة تؤدّي إلى تكوين صورة سلبيّة عن الآخر (المعادي). وعلى هذا الصعيد قدّم الأدب الصهيوني الحديث مثالاً صارخاً على ذلك. ب. التشويه الإيجابي: في الحالة الثانية «يرى فيها الأديب الواقع الثقافي الأجنبي في حالة التفوّق المطلق على الثقافة الوطنيّة. فيمكننا أن ندعو هذا التشويه بالتشويه الإيجابي، فمثلاً نجد بعض الكتّاب العرب منبهرين بالنموذج الغربي (حريّة، ديمقراطيّة...) وهذا يعني تمجيداً للحضارة الغربيّة وتجاهلاً لمشاكلها». ج. التسامح: «التسامح هو الحالة الوحيدة للتبادل الحقيقي، إنّ التسامح يحتاج إلى نضج فكري يقوم على التأمّل لا على استيراد الأفكار والمعطيات الأجنبيّة. وكذلك يحتاج إلى حوار دائم بين الذات والآخر بعيداً العقد النفسيّة». (حمود، ٢٠٠٠: ١٢١-١٢٠)

على سبيل المثال بدت لنا صورة قوات الاحتلال (الكيان الصهيوني) صورة مشوهة في كثير من الأحيان، فنرى موقفاً نقدياً تجاهها بسبب الآلام والمآسي التي مازال الفلسطينيون يعانون منها إلى اليوم.

٤-١.الآخر الصهيوني

كانت البوليسيّة الصهيونيّة تمارس أكبر الضغوط على الضمير الفلسطيني المقاوم لمحو الشخصيّة العربيّة وقتلها، وكانت وماتزال مقرّاً لأكبر الحكّام العسكريين وأكثرهم عنفاً. (القاسم، ١٩٨٧: ٢٦٨) فيعبّر القاسم عن المعاناة والمآسي التي يعيشها الشعب الفلسطيني الذي وجه نفسه في مواجهة الآخر:

«دَوريةُ البوليسِ لا تنامْ/ ما فتئت تبحرُ في مُستنقعِ الظلام/ تجوسُ في كلِّ قريةٍ..تطرقُ كلَّ بابْ/ وتَنكُتُ العَتمةَ في الأزقّةِ السوداء/ من غيظِها..تكادُ أن تُقلِّبَ الجيوب/ لعابرٍ..كان لدى أصحاب!/ يا بيتَنا الوديع..يا شبّاكَنا المضاء/ ما أجملَ السلامَ في حلقةِ أصدقاء/...وداهمتْ مجلسَهم دوريةُ البوليس.» (المصدر نفسه: ٩٢-٩٣)

ذكر الشاعر في قصيدة "من وراء القضبان" "التاء الفاعلية" لمرّة واحدة في (تنكتُ) وقد وظّف ضمير "نا" لمرّتين في قوله: (بيتنا وشبّاكنا)، وأمّا الكلمات المرتبطة بمفهوم "صورة الآخر" فقد ذكرها الشاعر "ستّ مرّات" وذلك من خلال أفعال: (لا تنام، تبحر، تجوس، تطرق، تُقلّب، داهمت). فنرى بأنّ صورة الآخر انتصرت على

نظيرتها في هذه القصيدة، ويذكر الشاعر لنا بعض الكلمات مثل: (مستنقع الظلام، العتمة، الأزقّة السوداء، والغيظ) علاوة على تصويره أفعال الآخر/العدو، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على نظرة الشاعر السلبيّة بشأن العدو. ومفردة "السوداء" تعكس لنا نفسيّة الآخر/العدو أو الظروف الخانقة التي فرضها العدو الصهيوني على الأنا المتألّمة. وكذلك يرى الشاعر بأنّ دوريّة العدو تبحث في كلّ قرية وزقاق وتدقّ جميع الأبواب وكذلك تفتّش في جيوب العابرين وتهجم على مجلس الأصدقاء. فيبيّن الشاعر من خلال توظيفه لهذه الصور أنّ النّاس في أرضه قد فقدوا أمنهم وراحتهم من أجل حضور قوّات الاحتلال.

وفي مقطع آخر أصبح الآخر الصهيوني مجسّداً في صورة "الطحلب".

«نبتَ الطحلبُ في قلبي/ وغطّى كلَّ جدرانِ الزجاج/ واللقاءاتُ الكثيرة/ والخطاباتُ الخطيرة/ والجواسيسُ..وأقوال البَغايا..واللَجاج/ إنّني أُفقدُ للدنيا الجسور/ ودمي اصفرَّ/ وقلبي انهارَ في وَحْل النُذور/ أيّها السادةُ مِن كل مكان.» (القاسم، ١٩٨٧: ٥١٠-٥١١)

يرسم القاسم في هذه الأسطر الشعريّة صورة عن نفسه والآخر/العدو الصهيوني، فهو يشبه المحتل المغتصب بالطحلب الذي قد غطّى جدران الزجاج، ويصفه في صور سلبيّة مثل: (الجواسيس والبغايا واللجاج). إنّ أفعال: (نبت، غطّى، اصفرّ، انهار) تكون أداة لاستحضار ذاكرة إنسانيّة بكلّ همومها ومعاناتها. إنّ مفردة "الطحلب" صورة رمزيّة تكشف عن ظلم العدو الصهيوني وما قام به من ممارسات إجراميّة بحق الشعب الفلسطيني. فالأنا تنظر إلى الآخر الصهيوني من منظار سلبي وتراه بمثابة عدو سلب أرضها.

وفي هذا المقطع يرمز القاسم من خلال "التنين" إلى الاحتلال أو العدو الصهيوني وما يفعله من نفي ومصادرة أراضي وظلم واعتقال وسجن. (زيدان، ٢٠٠٩: ٢٨٧) هنا رؤية القاسم تجاه الآخر رؤية من النوع الأول والمراد التشويه السلبي. فيقول الشاعر في قصيدة "القرن العشرين":

«أنا قبل قرونْ/ لم أتعوّد أن أكره/ لكنّي مُكره/ أن أُشرِعَ رُمحاً لا يَعيَى في وجهِ التّنين.» (القاسم، ١٩٨٧: ٣٨)

و"التنين" هو رمز للشر والبلاء والخداع ودرجة الرموز السلبيّة فيه أعلى من الحيّة أو الثعبان. فقد استخدمه الشاعر لما فيه من قدرة على تعميق فكرته ورؤيته تجاه الآخر. يتحدّث هذا المقطع عن إحدى صور سلبيّة شكّلتها الأنا للآخر أي الكيان الصهيوني. فهو منذ قرون لم يتعوّد الكُره وهو يقصد هنا الأنا الجماعيّة التي لا تفكّر حتّى للحظة الواحدة في الكره، فمضطرّ لأن يشرع رمحه الذي لا يعيى في وجه التنين، في الواقع يريد الشاعر أن يقول إنّني أقتل العدوان العسكري والاحتلال وهذا يكشف لنا رفض السكوت ووجوب الثورة والمقاومة. ويقول إنّني أطمس هذه الكراهية وسأقاوم أمام أعدائي. فعلى أيّة حال نرى رغبة الشاعر في قتال العدو والثورة عليه، إنّه لقد كان يتألم لسنوات ولكن بقي مرفوع الرأس ورفض التخاذل تجاه أعدائه.

ويشير القاسم في قصائده إلى رمز آخر وهو هولاكو ويرمز به إلى احتلال الطغاة والاستعمار والسلطة السياسيّة. (زيدان، ٢٠٠٩: ٢٨٣) قام الشاعر في البيت الثاني بتشبيه مصير أعداء فلسطين بمصير الظالمين والمتجاوزين أمثال "هولاكو". فلا يتوقّع مصيراً لهم سوى مصير الزوال والهلاك؛ لأنّ هذه العداوة لا مرّد لها سوى أن تنتهي، ولن يبقى سوى: أنا وحبيّ وشغفي إلى المقاومة:

غضبـي يحـــــرقُ مَـــن يشعلُـــــه غضبـــي القادم ريحاً بلقـــــــاح
ألف هولاكـــــــو أنا أغرقتُهـــــــم فـــي دياجيزي، واطلعتُ صباحـي

ينتهـــي العـــدوان غيمـــــاً عابـــراً وأنا أبقـــى، وحبّـــي، وكفاحـــــي
(القاسم، ١٩٩٣، ج٢: ٨٣)

٤-٢.الآخر العربي

وفي المقطع التالي لا يتحدّث الشاعر عن الآخر الأجنبي، بل عن الآخر الذي يعيش معه في مجتمع واحد، وإنّهم يتمتّعون بلغة وثقافة وحضارة واحدة. يخاطب الشاعر في هذا المقطع، القادة العرب الذين آثروا الصمت والسكوت في مواجهة مؤامرات العدو ضدّ الفلسطينين، وإنّهم لا يُظهرون اهتماماً بالنسبة إلى حقوق الفلسطينين وظروفهم المأساوية ولم ينهضوا في القيام بأمر في هذا المجال. إذن، إنّ الشاعر يشتكي هذا الأمر ويراهم مسؤولين عن المآسي والاضطرابات في العالم العربي:

«أين أنتم..يا ذَوي القَاماتِ المَسحُوقةِ كالتِّبن/ تحت مَسامِيرِ الأحذيةِ العسكريّةِ الثقيلة؟/ وأينَ أنتم يا شُيوخَ القبيلةِ/ أيّها الشاحبونَ الحالِمون/ بالنَّسل بالحُور العينِ بغِلمانِ الجنّةِ والبَضائعِ الأجنبيّة/ أين أنتم/ يا من تَصطَفُّ خواتمُ الذَّهبِ والماسِ فوقَ أظافركم القَذِرة/...أيّها الملوكُ والرُّؤسَاء/ أبْنُوا فلسطينَ في مُؤتَمراتِ قِمَّتكُم/ واشرَبوا الكُوكاكولا المُصَعّقة/ في ظلالِ أبراجِ النَّفطِ العالية/ فوق ذُؤبَات النخيلِ الحزين هناك/ نحن سُيوفُ العربِ البائدةِ/ نحنُ سُيوفُ العربِ البائدة.» (القاسم، ١٩٩٣، ج٤: ١٣٤-١٣٥)

يتطرّق الشاعر إلى خطاب القادة العرب، وفي نفس الوقت يخوض في بيان واقع فلسطين المرير؛ كما يقول: إنّ شباب هذه البلاد وجنودها قد أصبحوا تحت مسامير أحذية المحتلّين. إنّ القادة العرب قد ساورهم الخوف والرعب تّجاه الأعداء. إنّ الشاعر يسخر متهكّماً من القادة العرب؛ فيقول لهم: أنتم لا تفكّرون سوى بالنساء وإنّهم لا يهوون سوى شراء الأمتعة الأجنبية واصطفاف خواتم الذهب والألماس. أيا القادة العرب!... إنّكم تعيشون في الأبراج الشاهقة دائماً وتتمتّعون بأنواع المشروبات؛ ونسيتم الشعب الفلسطيني. إنّ القادة العرب أصبحوا عباداً للمال والنفط. فالشاعر يُدين من خلاله نصه الشعري، عدم كفاءة المسؤولين في شأن فلسطين. القادة الذين يتابعون عملهم في سبيل تطبيع علاقاتهم مع العدو. ربّما يُشير الشاعر إلى العدو الداخلي، فإنّ استسلام العرب وخضوعهم أمام إسرائيل وتخاذلهم أدّت إلى تسلّط العدو الصهيوني وهيمنته على الأراضي الفلسطينية. القادة الذين لا يُظهرون اهتماماً ولا حساسية بالنسبة إلى مذهبهم ولا دينهم ولا وطنيّتهم وهم غارقون في التجمّلات والثروة والرفاهيّة. فإذا كان يصرف القادة قسماً من ثروتهم للقضية الفلسطينية لكانت فلسطين اليوم في ظروف أحسن بكثير من الماضي. فهذا يكشف لنا أنّ الشعب الفلسطيني قد أصبح منسيّاً في العالم العربي.

٤-٣.الآخر الأمريكي

ويمكن اعتبار أمريكا جزءاً من الآخر مضرّة ومعاديّة لكثيرة من الشعوب خاصة أبناء الشعب الفلسطيني، فإنّ هذا الآخر يبدو وكأنّ في أذنيه وقراً فلا يسمع نداء الشاعر ولايسمع صوت شعبه، ولكنّ الأنا لا تقنط فتستمرّ في الكلام:

«من أينَ تبلغكِ الرسالة؟/ من أينَ..يا واشنطنَ الصماء../تحت ضجيجِ آله/ مِن أين؟/ في فيتنام مذبحة،/ وأنتِ تصدّرين/ كعكاً..وأدويةً..إلى القمرِ الحزين!!/ وتكنسين على دمِ الجَرحى..الزباله/ من أينَ ..تبلغكِ الرسالة؟!.» (القاسم، ١٩٨٧: ٥٠٢-٥٠٣)

بدأ القاسم المقطع الشعري باستفهام إنكاري (من أين)؛ لأنّه يستبعد وصول كلامه إلى مسمع أمريكا/ الآخر. يشير الشاعر في هذا المقطع إلى عدو آخر لهذه الأرض، فهو يرى أنّ رجال السلطة في أمريكا هم المسؤولون عن الكثير من هذا التزعزع في الأمن والاضطرابات والحروب القائمة في جميع العالم مثل حرب فيتنام، ولم يُثمر كلّ هذا سوى عن الدمار والخراب للشعوب المختلفة فهذه الدولة تسبّبت في القتل وإثارة الحروب وهي لا تفكّر سوى في التفكير بتصدير الكعك والأدوية إلى الشعوب المظلومة والمستضعفة. فكأنّ الشاعر يريد من خلال كلامه، أن يحدّ من مكانة الدولة وشأنها. حرب فيتنام من أشهر الحروب في القرن العشرين؛ فإنّ هذه الحرب أدّت إلى هزيمة أمريكا وتسبّبت في دمار وقتل شامل. فالشاعر يذكر أمريكا في غير عنوانها المذكور؛ لأنّها قد قامت بحماية الجرائم المتعددة على طول التأريخ.

٤-٤.الآخر/أعضاء هيئة الأمم المتّحدة

ويشير القاسم في هذا المقطع إلى صورة "الآخر" الأمم المتّحدة لا تظهر اهتماماً بالنسبة إلى معاناة الشعب الفلسطيني وآلامه ومآسيه. يشتكي القاسم من هذه اللامبالاة الّتي يشهدها من الأمم المتحدة، ويتطرّق إلى بيان صورة من الغربة واليأس والحزن ومطالب مجتمعه في العالم المعاصر:

«ها أنذا أبكي/ ها أنذا أندبُ/ ها أنذا أطرقُ أبوابَ الأُممِ المتّحدةِ أو غيرِ المتّحدةِ/ ها أنذا أتقلَّصُ/ ها أنذا امتدَّ/ ها أنذا أسألُ/ ها أنذا أغرقُ/ ها أنذا أتمزّقُ/ ها أنذا.» (القاسم، ١٩٩٣، ج٤: ٩٣)

والأمم المتّحدة قد غضّت بصرها على الواقع؛ فتركت الدفاع عن المظلوم. إنّ هذه اللامبالاة تسبّبت في استمرار التصرّفات الجنائية من قِبل أعداء فلسطين. إذن يظهر لنا بأنّ استمرار المآسي في أرض فلسطين، نتيجة عدم اهتمام هذه المنظّمة بالنسبة إلى قضيّة الشعب الفلسطيني.

ثم يقول في مقطع آخر:

«كان السادةُ السُفراءُ يتناولُ غداءَهم في المطعمِ الفاخر/ حَوَّمتُ حولَهم/ زَمزَمتُ/ كشّوني عن أنوفِهم الحمراء، بأكفٍّ مُعقّمه/ فسَقطتُ في صحنِ الحساء./ شكاني صاحبُ المطعمِ إلى الأُممِ المتّحدةِ/ وأداننني القضاةُ الماسونيون/ سِلاه..» (القاسم، ١٩٩٣، ج٣: ٨٧)

إنّ منظّمة الأمم المتّحدة طالما تطرّقت إلى الدفاع عن الظالم ولم تعمل شيئاً أبداً في ظلّ إحقاق حقوق الشعب الفلسطيني، وهذه اللامبالاة من قِبل الأمم المتحدة بالنسبة إلى قضيّة فلسطين وكوارثها؛ علامة صريحة على الظلم الموجّه نحو هذه الأرض. وإنّ العدو الصهيوني يرى نفسه مدعوماً بقوّة المنظّمات الدولية مثل: الأمم المتّحدة؛ لذا فهي تتابع تجاوزاتها ضدّ الكيان الفلسطيني. فلولا دعم الأمم المتّحدة ما كان العدو الصهيوني ليفرض عدوانه وممارساته الإجراميّة على الشعب الفلسطيني. في الحقيقة ينادي الشاعر بالإنسانيّة وعدم الظلم والعدالة التي لا تعرف جنساً وعرقا، وهذا الذي يقصده الشاعر من خلال نصّه الشعري.

النتائج

ظاهرة جدلية الأنا والآخر تساعد سميح القاسم في تبيين آرائه وإيدئولوجيته في مواجهة الأعداء خاصة صموده وكفاحه ضد الكيان الصهيوني. وكذلك يحاول الشاعر تثبيت هويته الفلسطينية وطموحاته وتجسيد الشعر الفلسطيني المقاوم بمضامينه الوطنيّة في الأراضي المحتلّة.

إنّ الشاعر يجسّد الأنا في موقف متباين تجاه الآخر، ويتّخذ اتّجاهاً ثوريّاً يدعو إلى النضال والكفاح ويتغنّي بانتصارات الأنا العربيّة وثقافتها ودياناتها وأدبها على الآخر الذي يختلف عنها فكريّاً وثقافيّاً ودينيّا، وذلك يتّضح من خلال علاقة الأنا بالآخر، وكذلك يصوّر الأنا في المستويين الفردي والجماعي.

إنّ القوّة والبطولة والشجاعة من القيم العربيّة التي ترسمها الأنا لنفسها ونلاحظ بأنّها تفتخر بذاتها لأنّ ذلك يحطّ من قيمة الآخر، إنّ القاسم من خلال نصوصه الشعريّة يشير إلى انتصارات الأنا العربيّة على عدوها. فيجسّد الأنا الفرديّة لمقارعة خصمها.

إنّه في قسم آخر من أشعاره يشير إلى حال الأنا المتألمة أو الواقع المرير الذي لا يتعايش معه الشاعر فحسب بل يعاني منه المجتمع الفلسطيني بأسره. فهو يبيّن آلام ومآسي شعبه. ويهتف الشاعر هتافاً عالياً أنّه هل من ناصر ينصرنا؟

يصوّر الشاعر الآخر بنوعيه: الآخر الأجنبي فهو الآخر الذي ينتمي إلى شعب يختلف عن شعب آخر كـــالعدو الصهيوني والأمم المتّحدة وغير الأجنبي من القادة العرب الذين لا يختلفون عن الشاعر لغة وثقافة وحضارة، فنجد أنّ الآخر الصهيوني له حضور بارز، فأينما ورد ذكر للصراع والظلم والقهر والاضطهاد ورد ذكر الكيان الصهيوني.

نجد علاقة عدائية بين الشاعر والآخر(قوات الاحتلال) فهذه العلاقة تؤدّي إلى تكوين صورة سلبيّة عن الآخر (المعادي)، والعلاقة الموجودة بينهما تحرض الأنا على الإظهار بالوجود والتعبير عن نفسها وإنسانيتها. الآخر الذي فرض الظروف الاجتماعية والسياسية الخانقة على مجتمع الأنا. فهو يصوّره بصور عدو سلب حريّتها وشرّد مواطنيها. وأما النوع الثاني من الآخر فهو من أبناء شعبه أو مجتمعه العربي الذي يتوقّف الشاعر أمامهم وينتقدهم ويراهم مسؤولين عن مآسي الشعب الفلسطيني.

يشبه الشاعر الآخر أي العدو الصهيوني بـــالطحلب أو الحشرات والكلاب والتنين وغيرهم من الصفات السلبيّة التي تشير إلى الاتساع والوحشيّة والافتراس والنجاسة، والشرّ والخداع.

المصادر و المراجع

العربية

-أبوشاور، سعدي. (٢٠٠٣م). **تطوّر الاتجاه الوطني في الشعر الفلسطيني المعاصر**؛ الطبعة الأولى، بيروت: المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر.

-الديك، إحسان، نادر قاسم. (٢٠١٤م). **شهادات في الشاعر الكبير المرحوم سميح القاسم**؛ جامعة النجاح الوطنيّة.

-الذويخ، سعد فهد. (٢٠٠٩م). **صورة الآخر في الشعر العربي**؛ الطبعة الأولى، عمان: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع.

-السّلامي، ميساء صلاح ودّاي. (د.ت). **الأنا وتمثّلاتها في شعر الطّرمّاح بن حكيم الطائي**؛ جامعة الكوفة، كليّة التربية للبنات.

-القاسم، سميح، (١٩٩٣م). **الأعمال الكاملة**؛ الجزء الثالث، الكويت: دار سعاد الصباح.

-ـــــــــــــــ، (١٩٨٧م). **ديوان سميح القاسم**؛ دارالعودة: بيروت.

-ـــــــــــــــ، (١٩٩٣م). **الأعمال الكاملة**؛ الجزء الثاني، الكويت: دار سعاد الصباح.

-ـــــــــــــــ، (١٩٩٣م). **الأعمال الكاملة**؛ الجزء الرابع، الكويت: دار سعاد الصباح.

-ـــــــــــــــ، (٢٠٠١م). **الأعمال الكاملة**؛ الجزء الثالث، الطبعة الثانية، الكويت: دار سعاد الصباح.

-بلاوي، رسول؛ صادق البوغبيش. (٢٠٢٠م). «*جدلية الأنا والآخر في شعر سالم أبي جمهور القُبيسي دراسة صورولوجية*»، **مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية**؛ العدد ٥٥، صص٣٩-٥١.

-بوحلايس، سلاف. (٢٠٠٨م). **صورة الأنا والآخر في شعر مصطفى محمّد الغماري**؛ مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري الحديث، جامعة الحاج لخضر، باتنة.

-تريسي، عبدالله بن محمّد طاهر. (٢٠١١م). «*ثنائية الأنا والآخر الصعاليك والمجتمع الجاهلي*»، دمشق، **مجلة التراث العربي**؛ كانون الثاني، السنة الثلاثون، صص ١٦٩-١٩٢.

-حمود، ماجدة. (٢٠٠٠م). **مقاربات تطبيقيّة في الأدب المقارن دراسة**؛ منشورات اتّحاد الكتّاب العرب.

-ـــــــــــــــ (٢٠١١م). «*صورة الآخر في ألف ليلة وليلة*»، **مجلّة جامعة دمشق**؛ المجلّد ٢٧، العدد الأوّل، صص ١٠٥-١٤٠.

-حنفي، حسن. (١٩٩١م). **مقدّمة في علم الاستغراب**؛ القاهرة: الدار الفنيّة للنشر والتوزيع.

-خليل، إبراهيم. (٢٠٠٧م). **مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث**؛ الطبعة الأولى، عمان: دار المسيرة.

-رستم بور، رقية، مينا بيغامي. (١٣٩١ش). «*تحليل الخطاب السياسي على المستوى الصرفي في أشعار سميح القاسم، موازنة بين الأشعار قبل حرب ١٩٦٧ وبعده*»، **مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها**. العدد ٢٥، صص ٤٥-٢٣.

-رضاپور محيسني، توفيق والآخرون. (١٣٩٨ش). « *صورة الآخر الأجنبي والعربي في شعر فاضل العزّاوي*»، **مجلة آفاق الحضارة الإسلامية**؛ السنة ٢٢، العدد ٢، صص ٧١-٨٨.

-زيدان، رقيّة. (٢٠٠٩م). **أثر الفكر اليساري في الشعر الفلسطيني**؛ الطبعة الأولى، د.م: دار الهدى.

-شاوش، سارة. (٢٠١٤م). **جدليّة الأنا والآخر في رواية كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد للروائي واسيني الأعرج**؛ مذكرة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة والأدب العربي، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي.

-عبدالغني، مصطفى. (٢٠١٢م). **المقاومة والمنفى في الرواية الفلسطينية**؛ الطبعة الأولى، مصر: دارة الكرز.

-عطية، أحمد عبدالحليم. (١٩٩٧م). **جدل الأنا والآخر قراءات نقديّة في فكر حسن حنفي**؛ الطبعة الأولى، د.م: مدبولى الصغير.

-عيسى، فوزي. (٢٠١١م). **صورة الآخر في الشعر العربي**؛ التدقيق اللغوي والمراجعة عبدالعزيز جمعة، الكويت: مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري.

-فوغالي، وهيبة. (٢٠١٢م). **الانزياح في شعر سميح القاسم؛** رسالة لنيل درجة الماجستير في اللغة والأدب العربي من جامعة أكلي محند أولحاج البويرة.

-كنفاني، غسّان. (١٩٨٦م). **غسان كنفاني الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال ١٩٤٨-١٩٦٨**؛ الطبعة الأولى، قبرص: منشورات الرمال.

المصادر الفارسية

-نامور مطلق، بهمن. (١٣٨٨ش). *«درآمدی بر تصویرشناسی، معرفی یک روش نقد ادبی و هنری در ادبیات تطبیقی»*، **مجلّه مطالعات ادبیات تطبیقی**، سال سوم، شماره ١٢، صص ١١٩-١٣٨.

References

Arabic

- Abdelghani, Mustafa. Resistance and Exile in the Palestinian Novel. 1. House of Al-Karaz, 2012.
- Abushawar, –Saadi. The development of the National Trend in Contemporary Palestinian Poetry. 1. Beirut: The Arab Institute for Studies and Publishing., 2003.
- Al-Deek, Ihsan, and Nader Qassem. Testimonies on the late great poet Samih al-Qasim. Al-Najah National University., 2014.
- Al-Qasim, Samih. Poetry collection of . Beirut: Dar al-Awda, 1987.
- Al-Qasim, Samih. The Complete Works. Vol. Third . Kuwait: Dar Suad Al-Sabah, 1993.
- Al-Salami, Maysa Salah Weddai. The Ego and its Representations in the Poetry of Al-Tarmah Bin Hakim Al-Taie. Kufa: University of Kufa, Faculty of Education for Girls, n.d.
- Al-Zehuikh, Saad Fahed. The Image of the Other in Arabic Poetry. First. Amman: The Modern World of Books for Publishing and Distribution, 2009.
- Attia, Ahmed Abdel Halim. The debate of the ego and the other, critical readings in the thought of Hassan Hanafi. 1. Madbouly the Al-Sagheer., 1997.
- Balawi, Rasool, and Sadiq Al-Bogbaish. "The dialectic of the ego and the other in the poetry of Salem Abi Jamhour al-Qubaisi, a morphological study." Open Journal of Al-Quds University for Human and Social Research, no. 55 (2020): 39-51.
- Bohlais, Sulaf. "The image of the Ego and the other in the poetry of Mustafa Muhammad Al- Ghamari." Memorandum for obtaining a

master's degree in modern Algerian Literature. Hadj Lakhdar University, 2008.

- Complete Works. Vol. Second . Kuwait: Dar Souad Al-Sabah, 1993.
- Complete Works. Vol. Fourth . Kuwait: Dar Souad Al-Sabah, 1993.
- Complete Works. Second. Vol. Third . Kuwait: Dar Souad Al-Sabah, 2001.
- Foghali, Wahiba. "Deviation in the Poetry of Samih Al-Qasim." Thesis for obtaining a master's degree in Arabic language and literature. University of Akley Mohand Oulhaj, Bouira., 2012.
- Hammoud, Magda. "Applied Approaches in Comparative Literature Study." Publications of the Arab Writers Union, 2000.
- Hanafi, Hassan. An Introduction to the Science of Occidentalism. Cairo: Technical House for Publishing and Distribution, 1991.
- Issa, Fawzi. The Image of the Other in Arabic Poetry. Edited by Abdul-Aziz Juma. Kuwait: Abdul-Aziz Saud Al-Babtain Foundation for Poetic Creativity, 2011.
- Kanafani, Ghassan. Ghassan Kanafani: Palestinian Resistant Literature under Occupation 1948-1968. 1. Al-Rammal Publications, 1986.
- Khalil, Ibrahim. An introduction to the study of modern Arabic poetry . 1. Amman: Dar Al Masirah, 2007.
- Muhaisni, Tawfeeq Rezapur, and et al. "The Image of the Foreign Other and the Arab in the Poetry of Fadel Al-Azzawi." Horizons of Islamic Civilization Journal, no. 2 (2019): 71-88.
- Rustom pour, Ruqayya, and Mina Pegami. "An analysis of the political discourse at the morphological level in the poems of Samih al-Qasim, a balance between poems before and after the 1967 war." Journal of the Iranian Scientific Society of Arabic Literature, 2012.
- Shawsh, Sarah. "The dialectic of the ego and the other in the novel of the book Prince Paths of the Iron Gates by the novelist Wassini Al-Araj." memorandum for obtaining a master’s degree in the field of Arabic language and literature,. Oum El Bouaghi: Al-Arabi Ben Muhaidi University, 2014. Shawsh, Sarah. (2014). The dialectic of the ego and the other in the novel of the book Prince Paths of the Iron Gates by the novelist Wassini Al-Araj, memorandum for obtaining a master’s degree in the field of Arabic language and literature, Al-Arabi Be.

- "The Picture of the Other in One Thousand and One Nights." Damascus University Journal 27, no. 1 (2011): 105-140.
- Tracy, and Abdullah bin Muhammad Taher. "The duality of the ego and the other, the tramps and the pre-Islamic society." Arab Heritage Journal (, the thirtieth year,), January 2011: 169-192.
- Zidane, Rukia. The Impact of Left Thought on Palestinian Poetry. 1. Dar Al-Huda, □ , 2009.
- **Persian**

- Namur Mutaleq, Bahman. " An introduction to imagery, introducing a method of literary and artistic criticism

فصلنامه علمی لسان مبین
(پژوهش زبان و ادب عربی)
شاپای چاپی : ۸۰۰۲-۲۳۵۵
شاپای الکترونیکی : ۲۶۷۶-۳۵۱۶

تقابل من و دیگری در شعر سمیح القاسم*

صادق فتحی دهکردی[1*]، سیده سکینه حسینی[2]

[1*]دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی، پردیس فارابی دانشگاه تهران، قم، ایران.
[2] دانش‌آموخته دکتری گروه زبان و ادبیات عربی، پردیس فارابی دانشگاه تهران، قم، ایران.

اطلاعات مقاله

نوع مقاله:
مقاله پژوهشی

دریافت:
۱۴۰۰/۰۱/۱۷

پذیرش:
۱۴۰۰/۱۱/۳۰

چکیده

تقابل من و دیگری یکی از مهم ترین موضوعاتی است که در متون عربی به طور کلّی و متون فلسطین به طور خاص به آن پرداخته شده است. این تقابل، تصویری برجسته در آثار بسیاری از نویسندگان فلسطینی به شمار می رود. سمیح القاسم شاعری است که پس از گذراندن شرایط سخت رویارویی با دشمنان، برای وطنش جنگید. القاسم قادر است از طریق این تصویر، جنبه ای از زندگی خویش، خواه یک موضوع ذاتی یا اجتماعی را به تصویر بکشد. این تحقیق سعی دارد با روش توصیفی –تحلیلی، تصویر من و دیگری را در شعر القاسم روشن سازد، و به جستجوی انواع مختلف «من»، و همین طور چگونگی ترسیم تصویر «دیگری» در شعرهای مقاومت او بپردازد. و این امر، واقعیت مردم فلسطین، نگرانی‌ها، امیدها، اندیشه ها و رنج های آن ها را آشکار می سازد. از مهم ترین یافته های تحقیق این است که تصویر «من» در انواع مختلف آن متجلّی شده است و منظور از «منِ فردی» همان شاعر مبارز است، و منظور از «من اجتماعی» هر فلسطینی است که تا به امروز دچار بی عدالتی و ظلم شده و طعم تلخی را چشیده است، به نظر می رسد که شاعر برای اتّحاد با جامعه ی خویش باعث گسترش «من»شده است. شاعر «من» را در موقعیتی متضاد نسبت به «دیگری» ترسیم می کند، و دارای نگرشی خصمانه و دیدگاهی منفی است که این را شعرهای مقاومت وی گواه می دهند. اما دیگری خارجی، همان سازمان ملل متّحد و دشمن صهیونیستی است که در شعر شاعر نمودی برجسته دارد و این در تصاویر و اشکال مختلف آشکار شده است. و غیر خارجی همان رهبران عربی هستند که از نظر زبان، فرهنگ و تمدن، تفاوتی با شاعر ندارند بلکه از لحاظ عقیده و طرز تفکّر با یکدیگر فرق دارند و تحت هیچ شرایطی از وی دفاع نمی کنند.

کلمات کلیدی: شعر فلسطین، مقاومت، من و دیگری، سمیح القاسم.

استناد: صادق فتحی دهکردی، صادق، حسینی، سیده سکینه. (۱۴۰۱). تقابل من و دیگری در شعر سمیح القاسم، سال چهاردهم، دورهٔ جدید، شمارهٔ چهل و نهم، پاییز۱۴۰۱: ۲۲-۱.

DOI: 10.30479/lm.2022.15342.3234

ناشر: دانشگاه بین‌المللی امام خمینی(ره)

حق‌مؤلف © نویسندگان.

* – پست الکترونیکی (نویسنده مسئول): *s.fathi.d@ut.ac.ir*